

د. دافيد صيمح :
منازل الاحباب ومنازه الالباب
لشهاب الدين الحلبي

نسيطة من « الشرق » ، السنة ٥ ، الاعداد ١-٤ ،
حزيران - ايلول ، ١٩٧٤ ، ص ٦٥ - ٧٨

مقدمة

كتب المؤلفون العرب القدامى عددا كبيرا من المؤلفات التي تبحث في العشق والعاشقين ، منها ما يحاول تقديم نظرية متكاملة في العشق ومراتبه واسبابه ونتائجه ، ومنها ما يكتفي بتسجيل اخبار العشاق ومصارعهم واشعارهم ، ومنها ما يجمع بين الامرين معا . وبعض هذه الكتب مطبوع ، وبعضها مخطوط ، وضاع البعض الاخر فيما ضاع من مخطوطات الادب العربي القديم .

ولا يستطيع الباحث في هذا الادب ان يحدد عدد الكتب التي كرسست بكاملها لموضوع العشق . ولقد قامت المستشرقة *Ullrich* بمحاولة لحصر جميع هذه الكتب التي الفت بين القرنين التاسع والسادس عشر الميلادي ، ابتداء برسالتين للجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩م) عنوان احدهما «رسالة في العشق والنساء» وعنوان الثانية «رسالة القيان» ، وانتهاء بكتاب **صباية المعاني** لمحي الدين السلطي (الذي اشتهر حوالى سنة ١٠٦٥ هـ / ١٦٥٥م) (١) . وبالرغم من العناية الكبيرة التي بذلتها المؤلفة في عملية الحصر هذه ، وشارتها الى مؤلفات في الحب لا تزال مخطوطة واخرى مفقودة ولم يبق منها سوى اقتباسات قليلة في كتب لاحقة ، فليس من شك في ان هناك عددا اخر من المؤلفات في الموضوع نفسه لم تذكرها *Giffen* في قائمتها . فهناك ، اولاً ، كتاب **امتزاج الادواح** (او امتزاج النفوس) لمحمد بن احمد بن سعيد التميمي (المتوفى بعد سنة ٣٧٠ هـ - ٩٨٠م) (٢) ولدينا منه عدة اقتباسات في كتب لاحقة هي **روضة المحبين** لابن قيم الجوزية (المتوفى سنة

٧٥١ هـ / ١٣٥٠م) ، و **ديوان الصباية** لابن ابي حجلة (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥م) و **تزيين الاسواق** لداود الانطاكي (المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩م) (٣) . وهناك ايضا كتاب **روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب** لمبد الرحمن بن نصر الشيزري (المتوفى بعد سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م) (٤) ووردت منه بعض مقتطفات في **ديوان الصباية** وفي **تزيين الاسواق** (٥) . وهناك ، ثالثاً ، كتاب **مجنة الظراف في اخبار العشاق** لمحمد بن احمد النوقاتي (المتوفى سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م) وقد ذكره ياقوت واورد مقتطفات من شعر المؤلف الوارد فيه ، كما اقتبس منه ابن قيم الجوزية وابن ابي حجلة (٦) . وهناك عدد اخر من كتب الحب لم استطع العثور على مقتطفات منها مثل كتاب **التمهين المعصومين** لمحمد بن خلف بن المرزبان (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٣م) ذكره ابن النديم والصفدي واسماعيل البغدادي (٧) ، وكتاب **روضة العشاق ونزهة المشتاق** لمحمد بن علي العراقي (المتوفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦م) (٨) وكتاب **اخبار المشتاق الى اخبار العشاق** لمحمد بن محمود بن النجار (المتوفى سنة

- (٣) روضة المحبين ١٥٦ ، ٤٠٨ ، ديوان الصباية ٣٠ ، ١٤٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، تزيين الاسواق ١٤ ، ١٧٨ .
- (٤) كشف الظنون ٩٣١/١ ، هدية العارفين ٥٢٨/١ ، معجم المؤلفين ١٩٧/٥ ، و اشار بروكلمان في *GAL* ٤٨٨/١ ، S ٨٣٢/١ الى وجود عدة مخطوطات من الكتاب .
- (٥) ديوان الصباية ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥٧ ، تزيين الاسواق ١٥٢ ، ١٧٨ .
- (٦) ارشاد الارب ٣٢٤/٦ ، الوافي بالوفيات ٩٠/٢ ، هدية العارفين ٥٣/٢ ، معجم المؤلفين ٢٦٥/٨ ، وانظر اقتباسين من الكتاب في روضة المحبين ١٥٨ ، ديوان الصباية ٢٩ .
- (٧) الفهرست ١٤٩ ، الوافي بالوفيات ٤٥/٣ ، وانظر ايضاح المتنون ٣٢٨/١ ، هدية العارفين ٢٦/٢ ، ولم يذكر الكتاب في بروكلمان *GAL* ١٢٥/١ ، S ١٨٩/١ وجاء في تزيين الاسواق ١٤ اقتباساً من كتاب التميمين لم يذكر اسم مؤلفه .
- (٨) كشف الظنون ٩٢٧/١ ، و اشار بروكلمان في *GAL* ٢٨٠/١ الى وجود مخطوطة في الاسكوريال .

(١) *Giffen* ٣ - ٤ ، ٤٨ - ٥٠ .

(٢) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٨١/٢ ، عيون الانباء ٨٧/٢ ، تاريخ الحكماء ١٠٥ ، بروكلمان *Giffen* ٢٢٧/١ ، ولم يذكر الكتاب في هذه المصادر ولكن ذكر في كشف الظنون ١٦٧/١

المؤلف وكتبه

هو ابو الشفاء شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبلي الحنبلي (١١) . ولد في حلب سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م ، وعاش فترة من حياته في مصر . وبعد ان مات القاضي شرف الدين بن فضل الله اتى الى دمشق وولي فيها الكتابة في ديوان الانشاء لمدة ثماني سنوات . وذكر ابن حجر العسقلاني انه عين مرة لقضاء الحنابلة ، وان نشره يدخل في ثلاثين مجلدا . وذكر ايضا ان قصائده تدخل في ثلاثة مجلدات (١٢) . وورد الكتبي نماذج من شعره (١٣) . وتتفق المصادر على انه توفي في دمشق سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م . وله من المصنفات :

أ - **اهني المناجح في اسنى المدائح** . قال عنه ابن حجر انه افرد فيه من شعره المدائح النبوية وورد قول الذهبي فيه انه لم يخلق في معناه مثله (١٤) .

ب - **مقامة العشاق** . ذكرها الكتبي واسماعيل البغدادي وبروكلمان ولم نعثر على أي وصف لمضمونها (١٥) .

ج - **منازل الاحباب ومنازه الالباب** (١٦) . وهو الكتاب الذي نتناوله بالبحث . وقد اشار بروكلمان الى وجود ست مخطوطات من الكتاب في مكتبات مختلفة، وازافت اليها Giffen مخطوطتين اخريين لم يذكرهما بروكلمان (١٧) . ولم يذكر الاثنان مخطوطتي جامعة اكسفورد التي اعتمدنا عليهما في هذه الدراسة ،

- (١١) فوات الوفيات ٥٦٤/٢ ، شذرات الذهب ٦٩/٦ ، هدية العارفين ٤٠٧/٢ ، بروكلمان GAL ٥٥/٢ ، S ٤٢/٢ ، معجم المؤلفين ١٦٧/١٢ ، وذكر Vadet ٨ ان موته كان في سنة ٦٤٤ هـ ١٢٤٦ م وهذا هو في الحقيقة تاريخ ميلاده .
- (١٢) الدرر الكامنة ٣٢٤/٤ .
- (١٣) فوات الوفيات ٥٦٦/٢ - ٥٧٦ .
- (١٤) الدرر الكامنة ٣٢٥/٤ . وانظر ايضا المكتون ٨٢/١ .
- (١٥) بالاضافة الى المصادر عن الشهاب محمود انظر ايضا المكتون ٥٣٩/٢ .
- (١٦) كشف الظنون ١٨٢٧/٢ .
- (١٧) Giffen ٣١ .

٦٤٣هـ/١٢٤٥م) (١٠) . فاذا اخذنا بنظر الاعتبار هذه الكتب والكثير غيرها فان عدد كتب الحب التي كتبها العرب قد يبلغ اضعاف العدد الذي ناقشه الدارسون المحدثون .

وعلى الرغم من وجود دراسات غير قليلة تبحث في هذا النوع من الادب ، فان القارئ لا يزال يجهل ما تحويه بعض هذه الكتب التي لم يدفع الدارسون بمخطوطاتها الى المطبعة بعد . فان هنالك عددا ليس بالقليل من مخطوطات كتاب **منازل الاحباب ومنازه الالباب** لشهاب الدين محمود بن سلمان الحلبلي في عدة اماكن في العالم ، الا انه لم يظهر بعد بشكل كتاب مطبوع . وهذا مما يؤسف له حقا لان هذا الكتاب لو طبع وتداوله القراء لاصبح في ايدي دارسي الادب العربي حلقة اخرى في سلسلة طويلة من الكتب التي تبحث في العشق وتسجل مختلف القصص عنه ، الامر الذي من شأنه ان ييسر على الباحثين الوصول الى فكرة اكثر دقة وتفصيلا عن هذا النوع الادبي وعلاقة حلقاته المتعددة بعضها ببعض .

ولقد قامت Giffen في نطاق دراستها عن كتب الحب عند العرب باعطاء عرض موجز جدا لمحتويات **منازل الاحباب** لا يتجاوز نصف الصفحة الواحدة من كتابها (١٠) . فانها لضيق المجال وتشعب البحث لم يكن في استطاعتها ان تكرر له اكثر من ذلك . ونحن في هذا المقال نحاول اعطاء عرض مفصل له وتحليل نقدي لمحتوياته معتمدين على مخطوطتين موجودتين في مكتبة البودلي التابعة لجامعة اكسفورد . وسوف نتطرق الى ذكر مصادر الكتاب ونقدم لذلك بالحديث عن حياة مؤلفه الشهاب محمود الحلبلي وعن مؤلفاته الاخرى ، كما سنورد في الملحق بعض المقتطفات من نصوص الكتاب . ولعل بعض هذه النصوص وغيرها من المقطوعات التي اقتبسناها من الكتاب في مجرى البحث يظهر للمرة الاولى في هذه الصفحات .

- (٩) ذكر الكتاب في رشاد الاريب ١٠٤/٧ ، كشف الظنون ٣٠/١ ، هدية العارفين ١٢٢/٢ . وانظر ترجمة المؤلف في تذكرة الحفاظ ١٤٢٨/٤ ، شذرات الذهب ٢٢٦/٥ ، بروكلمان GAL ٢٦٠/١ ، S ٦١٣/١ .
- (١٠) Giffen ٣٢ - ٣٣ .

وسنورد ادناه وصفا لهاتين المخطوطتين قبل عرضنا وتحليلنا للكتاب .

د - **حمن التوسل الى صناعة الترسيل** (١٨) . علمنا ان الكتاب قد طبع في مصر سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م ، ولم يتسن لنا مراجعة نسخة من الكتاب المطبوع ، الا اننا ، لحسن الحظ ، عثرنا على مخطوطة للكتاب في مكتبة البودلي باكسفورد وعلامتها Ms. Marsh 507 وتتميز هذه المخطوطة بكونها قد نسخت في حياة المؤلف سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م . وقد قام الشهاب محمود نفسه بقراءتها وعلق عليها بخط يده ، وكتب في نهايتها : «قرأ علي هذا الكتاب من اوله الى اخره . . انفع الله ببقائهما قراءة تدل علي ما وراءهما من ذكاء متقصد وفكر متقصد وطبع سليم وذوق ارق من ماء» (١٩) . وبعد ان ذكر اسم احد تلاميذه كتب بيده على الورقة الاخيرة من المخطوطة ما يلي : «وقد اجزت له ان يروي عني هذا الكتاب وغيره من جميع مالي من تأليف ونظم ونشر وكتب ، الفقير الى الله تعالى محمود بن سلمان ابن فهد الحلبي الكاتب» (٢٠) .

وقد وصفت **Giffen** الكتاب بانه يهدف الى تعليم كتابة الرسائل (٢١) . وهذا الوصف ، وان كان صحيحا بصورة عامة ، كما يدل عليه عنوان الكتاب ، فانه لا يعطي فكرة دقيقة واضحة عن مضمونه . وفي الحقيقة ان هذا الكتاب يشبه كتاب **الصناعتين** الذي الفه العسكري ، فان فيه فصولا تبحث في الحقيقة والمجاز والتشبيه ، والاستعارة واقسامها ، والتجنيس والطباق ، وفصولا اخرى تتحدث عن المذهب الكلامي والتلميح والاستطراد وحسن الابتداءات وبراعة التلخيص . وبعد ان تجاوز الكتاب ثلاثة ارباعه كتب المؤلف ما يلي : «وهذا ما اتفق ايراده في هذا الكتاب من علوم المعاني والبيان والبديع ليتأمله المترشح لهذه الصناعة ويستعمل ذلك في كلامه مع ان تسمية هذه الانواع تختلف ولا مشاحة في التسمية كما ذكر قدامته في كتابه» (٢٢) . ووردت في فصوله المختلفة ابيات شعر من نظم الشهاب محمود نفسه يمثل بها على المواضيع

- (١٨) كشف الظنون ١/٦٦٦ .
(١٩) المخطوطة ، الورقة ١٦٣ .
(٢٠) المخطوطة ، ص ١٦٤ .
(٢١) Giffen ، ص ٣١ .
(٢٢) المخطوطة ، ص ١٢٣ .

التي يتطرق اليها . فقد اورد على سبيل المثال ابياتا قالها في تضمين مثل مشهور واخرى فيها تشبيه معكوس وتشبيه شيء باربعة اشياء (٢٣) .

وينتهي الكتاب بنماذج من التكاليد والتواقيع التي كتبها المؤلف (٢٤) .

منازل الاحباب

وصف المخطوطتين

ان اقدم مخطوطتي اكسفورد لكتاب **منازل الاحباب** ، وعلامتها Ms. Arab. f. 71 نسخت سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م ، وسنرمز اليها فيما يلي من هذا المقال وفي الهوامش بالحرفين م أ . وهي تتضمن ١٦٥ ورقة من الحجم الصغير وتحتوي كل صفحة على ١٣ سطرا . وقد نقلت من مخطوطة كانت لدى صلاح الدين الصفدي (المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) مؤلف كتاب **الواقي بالوفيات** . وبما ان الورقة الاخيرة مخرومة من جانبها فلا نعرف اسم ناسخ المخطوطة الذي كتب في سطورها الاخيرة : «ونسخته من كتاب استعرته من كتب الشيخ العلامة وحيد عصره وفريد دهره الشيخ صلاح الدين ابو الصفاء خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي اعزه الله تعالى وخوله في الدنيا والاخرة جمالا وجلالا بمنه وكرمه» (٢٥) .

اما المخطوطة الثانية للكتاب ، وعلامتها Ms. Sale 45 فقد نسخت سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م ، وسنرمز اليها بالحرفين م ب . وهي تتضمن ١٨٨ ورقة من الحجم الصغير ايضا وتحتوي كل صفحة على ١٣ سطرا كذلك . وجاء في نهاية المخطوطة ما يلي : «وهذا اخر الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ، كتبه العبد الفقير الى رحمة ربه عبد الظاهر بن احمد الذهبي عفا الله عنهما بدمشق المجروسة صانها الله وحفظها وحفظ اهلهما وسائر بلاد المسلمين بمحمد وآله وعترته وازواجه وذريته عليهم

- (٢٣) المخطوطة ، ص ٢٢ ، أ ٢٣ ، أ ١٨٥ .
(٢٤) المخطوطة ، ص ١٤٨ ب فما بعد .
(٢٥) منازل الاحباب ، م أ . ص ١٦٥ ب .

السلام وذلك في شهور سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واتم السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم» (٢٦) .

ان المخطوطة الاولى (م) على الرغم من نقصان بعض اوراقها والاضطراب في ترتيب اوراق اخرى قليلة ، تمتاز بعدة مزايا اهمها انها اقدم من الثانية وانها نسخت عن مخطوطة الصفدي التي كانت منقحة ولا شك من قبله ، ولان خطها اجمل واوضح وان ناسخها توخى الدقة في عمله وتفادى الاخطاء على قدر امكانه . بينما تدل المخطوطة الثانية (مب) على جهل ناسخها واهماله . ولذلك فقد اعتمدنا على م في مقالنا هذا واعتبرناها اصلا (٢٧) . ولكننا كلما وجدنا نقصا او اضطرابا في النص او صعوبة في قراءته فقد قابلناه على م ب .

عرض لمضمون الكتاب

ليس في وسعنا ان نحدد السنة ، او السنوات ، التي انتهى فيها الشهاب محمود تصنيف **منازل الاحباب** ولكن من المحتمل جدا انه لم يؤلف كتابه في مستهل شبابه ، كما هو الحال لدى محمد بن داود الظاهري مؤلف **كتاب الزهرة** ، الذي يقال انه انتهى تأليف كتابه قبل أن خلف ابيه على رئاسة المذهب الظاهري وهو في السادسة عشرة من عمره (٢٨) ، بل انه كتبه بعد ان

(٢٦) م ب . الورقة ١٨٦ .

(٢٧) هناك موضعان في م ا تنقصهما بعض الاوراق . اولهما في نهاية ص ٨٩ ب حيث تنقطع في وسطها القصة المأخوذة من كتاب **لقاطع العرب** وتوجد المادة الناقصة في م ب ، من ص ٩٥ ا الى نهاية ص ١٠١ ا . وثانيهما في نهاية ص ١٤٥ ب حيث تنقطع في وسطها القصة عن جبلة بن الاسود وتوجد المادة الناقصة في م ب ، ص ١٥٨ ب الى بداية ص ١٦٥ ب . واخطأ مجلد م ا في عدة مواضع في ترتيب الاوراق . واهم هذه الاخطاء ان الاوراق المرقمة ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ يجب أن ترقم ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ على التوالي . والاوراق المرقمة ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ يجب ان ترقم ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ على التوالي . أما مواضع الحذف والنقص والتشويش في م ب فكثيرة لا مجال لتفصيلها .

(٢٨) **مروج الذهب** ٢٥٥/٨ ، **تاريخ بغداد** ٢٥٩/٥ ، **وفيات الاعيان** ٣٩٠/٣ . وانظر مقدمة نيكل لكتاب **الزهرة** .

جاوز السادسة والثلاثين من عمره بقليل او كثير من السنوات . فديننا ما قد يكون دليلا على ان الكتاب أُلّف بعد سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م وذلك لورود الفقرة التالية في **منازل الاحباب** : «انشدني قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله لنفسه» (٢٩) . اي ان ابن خلكان ، مؤلف **وفيات الاعيان** ، الذي توفي في السنة المذكورة (٣٠) ، كان في عداد الموتى عند كتابة هذه الجملة . وطبيعي ان هذا الاستنتاج لا يكون صحيحا اذا كانت عبارة «رحمه الله» - من اضافة الناسخ .

وبما ان الفقرة الاولى من الكتاب من شأنها ان تعطي فكرة ما عن مبناء ومضمونه ، فمن المستحسن ان نوردها ههنا باكملها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه توفيقى .

اما بعد حمدالله والاعتصام به من فتنة الشيطان وهوى النفس فاني لما رأيت ما يندرج في سلك النكت الادبية والملاح العربية من الاشعار الرقيقة التي تبعث على الصبوة وتثير كامن الهوى وتحرك ساكن الوجد احببت ان اجمع في هذه الاوراق من اخبار من صدرت عنهم تلك الاشعار ما يتحقق به ان ذلك اللطف الذي يوجد في كلامهم ، والرقعة التي تلعب بالعقول من اشعارهم ، من قبيل العفة التي في سجايهم والصدق الذي جبلت عليه طباعهم ، وانها صدرت عن نفوس ابية وقلوب نقية وخلوات عفيفة واخلاق شريفة لم تدنس بالشهوات ولم تشن بالشبهات قد الفت الغرام فلو بان عنها اسفت عليه وتلذذت بالسقام ، فلو فقدته جوانحها التي جبلت عليه حنت اليه ، ليصير ذلك لمن تأمله خلقا وسجيا [ولا يحمل اشاراتهم الا على ما اتضح له من الحسن الجميل، ولا يسلك طريقهم] (٣١) الا وله من المحاسن الماثورة عنهم احسن هاد واوضح دليل . واضفت الى كل نادرة اوردها عنهم في هذا الكتاب من كلام الحكماء وفقر البلغاء ولطائف الادباء وما اتفق لي (٣٢) في ذلك من نظم ونثر ما كأنه ينطق

(٢٩) م ا . ص ١٣٣ .

(٣٠) **شذرات الذهب** ٣٧١/٥ .

(٣١) الورقة في م ا مخرومة ، والزيادة من م ب . ص ١٢ .

عن كل منهم بنسائه ويترجم عن مبهم حاله بواضح بيانه وسميته **منازل الاحباب ومنازه الالباب** وجعلته «تحتوي على فرائد نظم في سلك المحاضرة وفوائد دخلت تبعاً في زمرة المسامرة» (٣٢) .

وبعد هذا الافتتاح يورد المؤلف بعض الاحاديث النبوية تحت عنوان «ما ورد في فضل المتحابين في الله عز وجل وصفاتهم» (٣٤) ثم حديثاً آخر يتبعه قول مأثور لعمر بن الخطاب وايات من الشعر تحت عنوان «الاقتصاد في الحب والتمض» . ثم يذكر اسماء الذين اشتهروا بالمشق من الشعراء في الجاهلية والاسلام ، ويزعم ان الذين ماتوا من الحب في الجاهلية ثلاثة هم المرقشان (الاكبر والاخصر) وعبدالله بن العجلان النهدي ، وفي الاسلام ثلاثة ايضاً هم عروة بن حزام وقيس بن ذريح ومجنون بني عامر . ويذكر جميل بن معمر العذري مع ثلاثة آخرين لم يموتوا من الحب . وتتبع ذلك مقطوعات من الشعر فيها اشارات الى العشاق المشهورين (٣٥) .
ومما يلاحظ بهذا الصدد ان المؤلف لم يورد في كتابه قصة المرقشين ، وورد باختصار قصة النهدي وعشيقته اسماء (٣٦) . وضم في مكان واحد من كتابه عدة قصص قصيرة عن حياة عسرة بن حزام وموته من ذلك الحب (٣٧) . ومن الطبيعي انه قد اورد هنا وهناك مقتطفات من شعر المجنون وجميل وقيس بن ذريح وشيئا من اخبارهم . ولكن على وجه العموم يمكن ان نقول ان اخبار هؤلاء الشعراء العشاق باجمعها لا تحتل مكانا كبيرا في الكتاب .

ويتنيس الشهاب محمود ملاحظة قيمة للجاحظ يميز فيها بين العشق الحقيقي الذي يكابده هؤلاء وبين ما مايدعيه ابو نواس وابو العتاهية وغيرهما ، ويقول في نهايتها : «اولئك العشاق حقا ، وهؤلاء للتشبيه او حنبلي ايضاً» .

(٣٥) م ١ ، ص ٤ - ٦ .
(٣٦) م ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ . وقارن مصارع العشاق ٢٣٣ .
(٣٧) م ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٨ .

ليجعلوا ذكرهن سببا للنسيب والتشبيب» (٣٨) .
ويلى ذلك اخبار عن حي عذرة ووصفهم بانهم ارق الناس ذنباً واكثر العرب عشقاً ، وان ثلاثين شاباً منهم خامرهم الموت وما داء لهم الا الحب ، ثم قول عذري انه من قوم اذا عشقوا ماتوا ، ثم جواب عذري آخر لرجل سألته لماذا يعود بنو عذرة موتهم من الحب مزية وفضيلة (٣٩) .
ويورد المؤلف بعد ذلك ملاحظة قيمة اخرى للجاحظ يوضح فيها الفرق بين عشق الملوك وعشق الاعراب ويعطي تفسيراً نفسياً واجتماعياً لما يكابده الاعرابي من لوعة الحب . فالاعرابي على حد قول الجاحظ «ليس له ضياع تشغله ولا تجارات تقسم باله ولا يقدر كلما شاء على مفعن مله او نديم ممتع او منزه موق وهو منزع القلب لمعشوقته وكلما لم يقدر عليها (٤٠) اشتد استغلاؤه لها وكلما كانت المطامع ممكنة فيها اشتد حنينه اليها فاذا طال ذلك عليه اورث احشاء قرحا او داء يكون حنقه فيه» (٤١) . ومما يجدر ملاحظته هنا ان تفسير الجاحظ هذا اصبح نواة لتفسير آخر اكثر تفصيلاً قدمه بعد قرون عديدة ابو عبد الله مغلطي (المترجم سنة ٧٦٢هـ/١٢٦١م) في كتابه **الواضح المبين** في ذكر من استشهدوا من **المحبين** . ونقله داود الانطاكى (٤٢) .

ويورد المؤلف ابياتاً من الشعر يستدل منها على ان الحب الذي يؤدي الى الجنون او الموت هو الذي يستحوذ على القلوب منذ الحداثة ويتلو ذلك شيء عن ماهية العشق يبدأ بالتعريف المنسوب الى فيثاغورس وقد نقله الشهاب عن ابن داود في **كتاب الزهرة** (٤٣) .
وبعد ان يذكر عشرات من اسماء العشق وصفاته التي نقلها عن الحصري ، يعود المؤلف الى الجاحظ وقوله المشهور بان كل عشق يسمى حباً بينما لا يسمى كل حب عشقاً وبان الحب يتولد من اول نظرة اذا كان في ظاهر المرأة ما يشاكل طبيعة الرجل ، ثم اذا تكرر

(٣٨) م ١ ، ص ١٥ .
(٣٩) م ١ ، الورقة ٧ .
(٤٠) في الاصل «عليه» والتصحيح من عندنا .
(٤١) م ١ ، ص ١٠ ب . قارن رسالة النساء (السندري) ٢٧٢ .
(٤٢) تزوين الاسواق ٩ .
(٤٣) م ١ ، ص ١٢ ب - ١٣ ا . قارن الزهرة ١٧ . ويلاحظ هنا ان اسم فيثاغورس لم يذكر في هذا الصدد في كتاب الزهرة وانما نسب التعريف الى بعض المتطبين . وانظر كذلك Giffen ٦٦ ، الملاحظة ٢٦ .

النظر وصادف الرجل هوى له او اعجابا به لدى المرأة يزداد حبه حتى يصبح عشقا (٤٤) . وتأتي بعد ذلك مقتطفات من كلام البلغاء في مدح الهوى وذمه ، وما ورد في العفاف ومنع النفس هواها (٤٥) .

هنا ينتهي القسم الذي كرسه المؤلف لبحث المواضيع النظرية المتعلقة بالعشق . ويجب ان نلاحظ ان هذا القسم الذي استعرضناه من **منازل الاحباب** لا يتجاوز خمسا وعشرين ورقة من مجموع مائة وخمس وستين ورقة ، وقد وردت في خلاله بعض العناوين مما يدل على رغبة في ترتيب المواد . اما القسم الذي يليه فقد كرسه المؤلف لقصص العاشقين واحوالهم ويبدأ هذا القسم بعنوان كتب بحروف بارزة نصه ما يلي : «ومن ههنا ذكر ما اتفق ايراده في هذا الكتاب من اخبار اهل الهوى واشعارهم ومصارعهم» (٤٦) . ونحن لا نجد اي ترتيب داخلي في سرد هذه القصص ، ونكاد لا نجد عناوين اخرى ابتداء من هذا الموضع في الكتاب ، بل تأتي القصص كما اتفق وبدون أي منهج خاص .

مصادر الكتاب

وتأتي بعد هذا العرض القصير الى ذكر المصادر المختلفة التي استقى منها الشهاب محمود مواد كتابه وستعرضها مرتبة حسب تاريخ وفاة مؤلفيها .

١ - رأينا ان هنالك ثلاثة اقتباسات من الجاحظ ، ولم يذكر المؤلف في أي من كتب الجاحظ وردت . وقد احلنا القاريء الى الموضع المناسب من رسالتي الجاحظ في النساء والقيان بخصوص اثنين من هذه الاقتباسات .

٢ - اما اقدم كتاب يذكره المؤلف كمصدر له فهو **كتاب الزهرة** لابن داود الاصفهاني المتوفى سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م وقد طبع النصف الاول من الكتاب بأشراف نيكل (٤٧) . فبعد ان اورد مؤلف **منازل**

الاحباب القصة الشهيرة حول المحاورة التي جرت بين نبطويه وابن داود عندما كان الاخير على فراش المسوت (وقد اخذها عن الخطيب البغدادي او عن ابن السراج) كتب يقول : «وهذا هو ابو بكر محمد بن داود الاصفهاني الظاهري من اكابر العلماء وله قول في الفقه وهو مصنف كتاب الزهرة في المجاميع الشعرية ومن كلامه فيه من يئس من هواء ولم يمت من وقته سلاه ٠٠» (٤٨) . وكان قبل ذلك قد اورد ، كما ذكرنا ، تعريف العشق كما ورد في **كتاب الزهرة** (٤٩) . ثم سجل بعد ذلك قصة المناظرة التي جرت بين ابن داود وابن سريج الشافعي ، والشعر الذي طلب منه ناظمه ان يفتيه في قوائل الاحداق (أخذا ذلك عن الخطيب البغدادي أو عن ابن السراج) (٥٠) . واقتبس عن **كتاب الزهرة** ما رواه ثعلب عن قيس بن عمار عندما اصابه الجنون من حب ليلى وشعره في جبل التوباذ (٥١) ، ثم اخذ عن ابن داود ، دون ان يذكر كتابه ، تمييزه بين الهجر والفراق (٥٢) ، وقوله عن العاشق الذي لم يبلغ درجة الكمال لاحتياجه الى ما يذكره بمحبوبه (٥٣) ، وخبرنا عن موت عفراء على قبر عروة (٥٤) ، ثم تعليق ابن داود على قصة رجل من اهل نجد يتغنى بالشعر في خراسان (٥٥) .

٣ - اما الكتاب الذي يلي **كتاب الزهرة** من حيث القدم ، والذي كان من مصادر **منازل الاحباب** ، فهو **اعتلال القلوب** لابي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (المتوفى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨) (٥٦) . وتوجد عدة نسخ من مخطوطات الكتاب ذكرها بروكلمان (٥٧) . وقد اقتبس عنه الشهاب محمود اربع قصص ، الاولى عن جارية عشمقت محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب ، والثانية عن غلام بالكوفة تسلل الى دار حبيبته فاتهم بانه سارق واقتيد الى الامام علي بن ابي طالب ، والثالثة عن يزيد البجلي الذي ادعى انه لص كي يمنع

- (٤٨) م ١ ، ص ٢٨ ب - ٢٩ أ . الزهرة ٣٤٣ .
(٤٩) م ١ ، ص ١٢ ب - ١٣ أ .
(٥٠) م ١ ، ص ٢٩ أ - ٣٠ أ . وقارن مصارع العشاق ٣١٨ ، ٣٧٠ .
(٥١) م ١ ، ص ٩٧ ب . الزهرة ٢١٣ .
(٥٢) م ١ ، ص ٩٨ أ . الزهرة ١٩٢ .
(٥٣) م ١ ، ص ١٠١ ب - ١٠٢ أ . الزهرة ٢٢٠ .
(٥٤) م ١ ، ص ١٠٨ أ . الزهرة ٣٦٩ .
(٥٥) م ١ ، ص ١١٢ ب . الزهرة ١٧٧ .
(٥٦) تاريخ بغداد ١٣٩/٢ ، ارشاد ٤٦٤/٦ ، كشف الظنون ١١٩/١ .
(٥٧) بروكلمان S ٢٥٠/١ .

- (٤٤) م ١ ، الورقة ١٤ . قارن رسالة القيان (في بكر) ٦٧ .
(٤٥) م ١ ، ص ٢٤ ب .
(٤٦) م ١ ، الورقة ٢٥ .
(٤٧) انظر ترجمة ابن داود في تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ - ٢٦٣ .
الفهرست ٢١٧ ، وفيات الاعيان ٣/٣٩٠ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٦٠ .
بروكلمان GAL ٥٢٠/١ ، EI (طبعة قديمة) ٥٣٠/٢ .
وانظر Massignon ١٦١/١ - ١٨٢ .

الفضيحة عن معشوقته التي تسلسل الى دارها ثم تدخل خالد القسري ووزوجها بعد ان دفع المهر لابيها ، والرابعة والاخيرة عن عمر بن ابي ربيعة ومساعدته على تزويج حبيبين رأهما في الطواف (٥٨) . ولم يتح لنا استعمال مخطوطة **اعتلال القلوب** ، ووجدنا القصص الاربع المذكورة منسوبة الى الخرائطي في **روضة المحبين** لابن قيم الجوزية (٥٩) .

وذلك للاختلاف الكبير في الروايتين وفي عدد ابيات قصيدته العينية وترتيبها . فالشهاب ، اذن ، اقتبس اكثر ابيات العينية من **حماسة ابي تمام** كما ذكر بنفسه ، كما اخذ القصة وابيات اخرى من مصدر آخر .

٦ - ونقل المؤلف عن كتاب **الرياض** لابي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٣ م) حديثا شهيرا عن شهادة العاشق ينتهي اسناده الى ابن عباس ونصه : «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عشق فعف وكنتم فمات مات شهيدا» (٦٤) . ومن الجدير بالذكر ان ابن داود الظاهري كان اول من اورد هذا الحديث ، اذ كتب في احد فصول **كتاب الزهرة** يقول : «حدثني ابي قال حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني قال حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكنتمه فمات فهو شهيد» (٦٥)

وبالرغم من ان كتاب **الرياض** ، الذي ذكره ابن النديم وياقوت (٦٦) ، ضاع فيما ضاع من كتب الادب ، فمن المحتمل ان المرزباني اخذ الحديث عن رواية ابن داود . فالمرزباني هو احد ثلاثة سمعوا من نفظويه قصة حوار مع ابن داود المحتضر ، وقد اورد ابن داود في هذا الحوار رواية اخرى للحديث المذكور وهي : «عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكنتم وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة» (٦٧) . وقد اثار هذا الحديث بروايته نقاشا طويلا حول صحته وزيفه لا مجال لذكره هنا (٦٨) . ولا يبدي الشهاب محمود اي موقف معين حول هذه المسألة .

٧ - وكما سبق ان ذكرنا ، اورد المؤلف قائمة

٤ - والمصدر التالي هو كتاب مفقود لقدامة بن جعفر (المتوفى سنة ٣٣٧ هـ/٩٤٨ م) (٦٠) يسمى **اخبار الاعراب** ولم نجد له ذكرا في المصادر . وقد اوردنا في الملحق النص الكامل للقصة التي اقتبسها الشهاب محمود عن هذا الكتاب لاننا لا نعرف ان هذه القصة قد نشرت قبل في اي مكان آخر . هذا وقد وردت قصص اخرى منسوبة الى قدامة في ثلاثة مواضع اخرى من **منازل الاحباب** الا اننا لا نعرف فيما اذا كانت مقتبسة عن اخبار الاعراب ام لا (٦١) .

٥ - ليس من السهل تحديد علاقة **منازل الاحباب** بكتاب **الاغاني** لابي الفرج الاصبهاني (المتوفى سنة ٣٦٥ هـ/٩٦٧ م) . فالشهاب محمود يورد عدة قصص ينسبها الى ابي الفرج الا انه لا يذكر اسم كتاب **الاغاني** كمصدر لها . لذلك لا يمكننا ان نعلم فيما اذا كان قد نقلها عنه مباشرة ام عن طريق مؤلفات اخرى . فان قصة المخبل وابنتي عمه ام عمرو وميلاء التي رواها الاصبهاني موجودة في عدة كتب منها **مصارع العشاق** وربما اخذها الشهاب عنه (٦٢) . واورد مؤلف **منازل الاحباب** قصة الصمة القشيري وجبه لابنة عمه ريا ولم يذكر المصدر الذي استقاها عنه . وبالرغم من ان القصة موجودة في كتاب **الاغاني** (٦٣) ، فنحن نجزم بانه لم يقتبسها عنه

- (٦٤) م ١ ، ص ٢٠ أ . وانظر ترجمة المرزباني في تاريخ بغداد ١٣٥/٣ ، وفيات الاعيان ٤٧٥/٣ ، هدية العارفين ٥٤/٢ .
معجم المؤلفين ٩٧/١١ ، وبروكلمان S ١٩٠/١ .
الزهرة ٦٦ .
الفهرست ١٣٢ ، ارشاد ٥١/٧ .
تاريخ بغداد ٢٦٢/٥ ، مصارع العشاق ٣ م ١ ، ص ٢٨ ب .
روضة المحبين ١٩٤ - ١٩٧ ، ديوان الصباية ٢١٤ ، Giffen .
٩٩ - ١١٥ ، Vadet ، ٤٧٧ - ٤٨٠ .

- (٥٨) م ١ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ب .
(٥٩) روضة المحبين ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٢ .
(٦٠) م ١ ، الورقة ١١٣ . وانظر ترجمة قدامة في ارشاد الاربع ٢٠٣/٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢٨/٨ ، وذكر بروكلمان S ٤٠٦/١ .
ان وفاة قدامة كانت سنة ٣٣٧ هـ / ٩٥٨ م ويبدو ان هذا خطأ مطبعي .
(٦١) م ١ ، ص ٢٧ أ ، ١٤٠ ب ، ١٤٢ ب .
(٦٢) م ١ ، ص ١٥١ أ . وقارن مصارع العشاق ٣٢٠ .
(٦٣) م ١ ، ص ١١٠ ب ، الاغاني ٧/٦ - ٨ .

٩ - وفي سياق ما ورد في مساعدة الامراء والشخصيات المعروفة للعاشقين على الظفر بمعشوقاتهم ، اورد الشهاب محمود قصة نقلها عن كتاب **لقائظ العرب** لابي يعلى محمد بن الهبارية العباسي (المتوفى سنة ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ م) . وقد ذكر ياقوت اسم الكتاب مختصرا ، فانه اشار في ترجمته للمؤلف الى كتاب له يدعى **اللقائظ** وذكره بروكلمان كذلك على هذا الشكل المختصر (٧٥) . اما الصفوي وابن العماد في ترجمتهما لابي يعلى فلم يذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته (٧٥) . وتدور القصة حول فتى «يشهد عطفه بلطفه وينطق طرفه بظرفه الا انه ناحل البدن ذابل الشفة غائر العينين متتابع النفس شاحب اللون فعرف بالفراصة انه عاشق» (٧٦) . ولعل هذا الوصف يصور لنا العاشق النموذجي كما ينعكس من ادب الحب .

١٠ - واخيرا ، اقتبس الشهاب محمود قصة عن كتاب لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) يسمى **المفتاح** . وتدور القصة حول جارية من جواري بنت فخر الملك ، قد مرضت وتوفيت فقال عاشقها الشريف مسعود بن الحسن البياضي شعرا يرثيها فيه ثم توفي في الشهر الذي ماتت فيه (٧٧) . ولم اجد لكتاب **المفتاح** هذا ذكرا في المصادر ، واوردت القصة في الملحق لانها نص من كتاب مفقود .

نقد وتحليل

وهكذا فقد رأينا ان **منازل الاحباب** يعوزه التبويب الواضح الذي من شأنه ان يلقي ضوءا على موقف المؤلف

باسماء العشق وصفاته مسبوقة بالعبارة التالية : «ومن اسمائه وصفاته التي ذكرها الحصري رحمه الله في كتابه ١٠٠٠» ولم يذكر اسم الكتاب (٦٩) . ولابي اسحق الحصري (المتوفى بعد سنة ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢ م) كتاب عن العشق عنوانه **المصون في سر الهوى المكنون** . وتقول Giffen التي راجعت مخطوطة الكتاب الموجودة في ليدن ان الحصري يذكر في كتابه هذا بانه نقل القائمة من كتاب **الرياض** للمرزباني (٧٠) ، وهو الذي ذكرناه اعلاه .

٨ - اما المصدر التالي الذي استقى منه مؤلف **منازل الاحباب** كثيرا من مواده فهو **مصارع العشاق** لابي محمد جعفر بن احمد المعروف بابن السراج (المتوفى سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م) (٧١) . وقد طبع الكتاب مرارا واكثر المؤلفون المتأخرون من الاقتباس عنه والاعتماد عليه . وقد ذكر الشهاب محمود اسم الكتاب او اسم المؤلف كمصدر له ما لا يقل عن احدى عشرة مرة . وقد تمكنا بعد مقارنة النصوص في الكتابين ان نجد جميع المواد التي ينسبها الشهاب اليه (٧٢) . ونحن نعتقد ان المؤلف قد اخذ عن **مصارع العشاق** قصصا كثيرة اخرى دون ان يشير الى ذلك ، منها قصة الساعدي عن اقوال جميل العذري قبل موته ، وقصة عمر بن ابي ربيعة عن جعد بن مهجع العذري ، وقصة ابي الخطاب الاخفش عن رجل ماتت ابنته لانه لم يزوجها بابن عمها فدفنهما في قبر واحد ، وغير ذلك (٧٣) .

- (٦٦) م ١٣ ب .
(٧٠) Giffen ٢٠ ، ٢٢ .
(٧١) كشف القنون ١٧٠٣/٢ . بروكلمان ٢٥١/١ .
(٧٢) م ١ ، الاوراق ١٠٥ - ١٠٧ ، م ب ، ص ١٦٠ ب - ١٦٤ ب .
م ١ ، الورقة ١٤٧ ، ص ١٥٧ ، ١٥٩ ب ، ١٦٢ ب .
والقصص موجودة حسب الترتيب في **مصارع العشاق** ١٣١ ، ١٣ ، ١٣٩ ، ٢٠٩ ، ٤٠٢ ، ٧٣ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ٢٢٣ ، ١٨٩ ، ١٠٢ .
(٧٣) م ١ ، ص ١٦٠ ، ١٩٢ ، ٧٥ ب .
- (٧٤) ارشاد الاربيب ٢٩٧/٦ ، بروكلمان S ٤٤٦/١ .
(٧٥) الوافي بالوفيات ١٣٢/١ ، شذرات الذهب ٢٤/٤ .
(٧٦) م ١ ، الورقة ٨٩ وتمة القصة في م ب ، ص ٩٥ - ١١٠١ .
(٧٧) م ١ ، ص ١٤٤ ب - ١٤٥ ب . وانظر ترجمة ابن الجوزي في **وفيات الاعيان** ٣٢١/٢ ، **شذرات الذهب** ٢٢٩/٤ ، و **بروكلمان** S ٩١٤/١ .

للقصّة كتاباً متداولاً ، ككتاب **الآغانى** مثلاً ، فهو يفضل إيراد اسناد ينتهي بالشخص الذي قرأ القصّة في الكتاب ، ولا ينقل المواد بنفسه من الكتاب مباشرة فابن السراج يقول مثلاً : « كتب الي ابو غالب بن بشران من واسط حدثنا ابن دينار قال حدثنا ابو الفرج محمد بن علي الاصفهاني في كتاب الآغانى » (٨٠) ، وهو كذلك يروي الاخبار شفويًا عن الخطيب البغدادي ولا يأخذها عن **تاريخ بغداد** على الرغم من وجودها فيه (٨١) .

فما هو موقف الشهاب محمود من الاسانيد التي وردت في مصارع العشاق ؟ انه لا يحتفظ بالاسانيد حتى ولا مرة واحدة بل يحذفها برمتها او يبقي على الشخص الوارد في نهايتها ، وربما يكتب احياناً : « وحكى [السراج] باسناد ذكره » (٨٢) . فموقف الشهاب محمود من مصادره يختلف تمام الاختلاف عن موقف مؤلف **مصارع العشاق** .

ومما يلفت النظر ان الشهاب محمود ثم يستنق اي خبر من كتاب **طوق الحمامة** لابن حزم الظاهري ، وهو الكتاب الذي يعد بحق من ائمن ما خلفه الادب العربي في هذا الموضوع . وليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بان الشهاب محمود قد اطلع على الكتاب . وعلينا ان نضيف في هذا الصدد انه لم ترد اية مقتطفات من **طوق الحمامة في مصارع العشاق** وفي كتب الحساب المتأخرة مثل **ديوان الصبابة و تزيين الاسواق** . ويشذ عن هذه الكتب **روضة المحبين** لابن قيم الجوزية فقد اشار الى آراء ابن حزم في الحب وناقشها ورفضها (٨٣) . ولعل قول ابن حزم «دعني من اخبار الاعراب والمتقدمين

الخاص من المواضيع التي ذكرها . وقد وردت مواده موزعة على الكتاب بدون ترتيب منطقي او ترابطي معين . وربما يمكننا ان نستثني من ذلك القسم القصير الذي يسبق حكايات العشاق والذي وردت فيه المواد تحت عناوين جامعة . فمن هذه الناحية يختلف الكتاب تمام الاختلاف عن كتب اخرى في العشاق ، ولا سيما **كتاب الزهرة و طوق الحمامة و روضة المحبين و ديوان الصبابة و تزيين الاسواق** التي بين فيها مؤلفوها في الصفحات الاولى منهج كتابهم وذكروا عناوين الابواب والفصول (٧٨) .

و منازل الاحباب باكملة مستمد من مصادر كتابية ولم يضيف المؤلف اخباراً كان شاهد عيان لها او سمعها من معاصريه . ولا يمكن اعتبار الابيات القليلة من الشعر ، التي انشدها اياه ثلاثة من معاصريه ، بمثابة خروج على هذه القاعدة العامة (٧٩) . الا ان المواد التي ذكر الشهاب محمود انه استقها من المصادر التي عرضناها لا تكون ، اذا اجتمعت ، اكثر من نصف حجم كتابه ، اما النصف الآخر فربما اخذ بعضه عن تلك المصادر بالذات دون ان يشير الى ذلك . وأخذ اكثره عن مصادر كتابية اخرى لم يذكرها مطلقاً ، كما هو الحال في كثير من كتب الادب .

ولقد وجدنا من المستحسن ان نفحص بدقة ما نقله عن كتاب **مصارع العشاق** كي نستخلص النتائج حول طريقته في النقل وموقفه من الاسانيد التي اوردها ابن السراج لاخباره وقصصه . ومن المناسب ان نذكر ان ابن السراج قد احتفظ على وجه العموم بالاسانيد الطويلة التي استقى مواده بواسطتها ، فهو يفضل بشكل ملحوظ طريقة الرواية الشفوية على الاخذ عن مصادر كتابية . وحتى في حالة كون المصدر المباشر

- (٨٠) **مصارع العشاق** ١٤٧ . وانظر كذلك ٣٦ .
(٨١) **مصارع العشاق** ٣ ، ٣١٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ . قارن **تاريخ بغداد** ٢٥٦/٥ - ٢٦٣ .
(٨٢) انظر الاحالات اعلاه ص ٧٢ ملاحظة ٧٢ .
(٨٣) **روضة المحبين** ٦٨ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ٣١٠ .

- (٧٨) اما **مصارع العشاق** فعلى الرغم من تقسيمه الى ابواب فان المؤلف لم يذكر منهج الكتاب ومبناه في المقدمة .
(٧٩) م ١ ، ص ١٠١ ، ١٣٢ ، ب ١١٣٣ .

فسبيلهم غير سبيلنا» ١٨٤١ . والتزامه بهذا الموقف طوال كتابه قد قُبل من رواج كتابه وتأثيره في المشرق العربي المتعطر دائماً لاخبار الاعراب والمتقدمين التي كونت دائماً مادة اساسية في كتب الادب . او ربما انه لبعده الشقة بين المشرق والاندلس لم يتح للمؤلفين ان يتداولوا نسخاً من كتابه .

ومما يلاحظه ايضا قارئ **منازل الاحباب** المطلع على ادب الحب عند العرب خلوه من النغمة الدفاعية التي تتخلل احاديث بعض مؤلفي كتب الحب السابقة له . فنحن نجد مثل هذه النغمة الدفاعية عند ابن داود الظاهري في فترة متأخرة من حياته ، اي بعد سنوات من تأليفه لكتاب **الزهرة** . فقد اورد الخطيب البغدادي باسناد له خبراً عن محاوراة جرت في مجلس القاضي ابي عمر محمد بن يوسف يفهم منها ان الفقيه ابن سريج الشافعي كان يعير محمد بن داود بكتاب **الزهرة** ويلمخ له بان من يكون حاذقاً في الكتابة عن العشق لا يمكنه ان يتكلم في الفقه ، وان هذا الاخير كان يدافع عن نفسه بقوله انه قد ضمن الكتاب المذكور ابيانا تشييد بالحب العفيف وتنهى عن نيل المحرم (٨٥) . اما ابن حزم الظاهري (٩٩٤ / ١٠٦٤ م) فيحاول تقديم الاعذار على تأليفه **طوق الحمامة** ويقول في مقدمة الكتاب : «ولولا الايجاب لك لما تكلمت بهذا من الفقر والاولى بنا مع قصر اعمارنا الا نصرفها الا فيما نرجو به ربح المنقلب وحسن المآب غدا وان كان القاضي حمام بن احمد حدثني عن يحيى بن ملك عن عازد باسناد يرفعه الى ابي الدرداء انه قال اجموا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق . . . وفي بعض الاثر ارجوا النفوس فانها تصدأ كما يصدأ الحديد» (٨٦) .

(٨٤) طوق الحمامة ٤ .

(٨٥) تاريخ بغداد ٢٥٩/٥ ، ٢٦١ ، مصارع العشاق ٣١٨ ، وفيات الاعيان ٣/٣٩٠ ، ديوان الصباية ٢١٢ ، تزيين الاسواق ١٦٠ .

(٨٦) طوق الحمامة ٣ .

اما الشهاب محدود فانه لا يرى في الحديث عن الحب باطلا يعين على الحق ولا يحاول ان يبرر اشتغاله بمثل هذا الموضوع بل يعتقد ، كما سنرى ، ان في قصص العشق ما يقوم اخلاق القراء ويلطف طبائعهم . وربما يدل هذا الموقف على ان القرون الثلاثة التي مرت منذ تأليف كتب الحب الاولى مهدت الجو لاعتبار الخوض في مثل هذا الموضوع عملاً محترماً لا يحتاج الى تبرير ، خصوصا وان حنبلياً آخر مثله ، هو ابن السراج ، سبقه في هذا المضمار .

واعمق انطباع يخرج به القارئ من الكتاب هو تقليده من الخوض في المشاكل النظرية المتعلقة بالحب ، خلافاً لكتاب **الزهرة** و **طوق الحمامة** . ومن الواضح اننا لا نستطيع ان نتحدث عن وجود اسلوب خاص للشهاب محمود في **منازل الاحباب** لان قصصه مستقاة بالفاظها وتفصيلها من مصادر عديدة كتبت في فترة طويلة بايدي مؤلفين مختلفين . وقد يبدو لنا احيانا ان عدداً من هذه القصص يسير على نمط واحد ، وكان هيكلها العام قد اعد من قبل بحيث لم يبق للمؤلف الا ان يدخل اسماء العاشقين وبعض التفاصيل الثانوية . ففي الكثير منها نجد العاشق (او العاشقة) يرمي بنفسه على قبر معشوقته ثم يجود هناك بانفاسه الاخيرة ويأتي اهله واهلها فيعذبهم الندم ويدفنونه الى جانبها . وكثيراً ما نجد ان المأساة تكون نتيجة لعناد والد المعشوقة او طمعه في المال . وثمة موضوع آخر مكرر هو تدخل خليفة او امير أو رجل شهير لصالح العاشقين بحيث يحسم الخلافات التي تحول دون زواجهما ويدفع من ماله الخاص المهر المطلوب وتنتهي القصة نهاية سعيدة . ولكن نقاط الشبه هذه وغيرها ان كانت تدل على شيء فهي تدل على المفاهيم السائدة او على خصائص عامة للادب العربي في فترة طويلة من حياته ، الا انها لا تعلمنا الكثير ولا القليل عن الاسلوب الادبي الخاص لمؤلف معين .

صدقا انغرام فلم يمل طرف الى
فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما

لم يخش مطعن عائب او زار (٩٢)

وبعد ان اورد قصة عن فتى وفتاة ماتا من العشق ،
قال :

«لا تحسبن روحيهما افترقا وقد
قضيا جميعا في زمان واحد
هيهات ما حرما وصلا زائلا
الا لينفردا بوصل خالد» (٩٣)

ويجدد بنا ان ننهي الحديث عن شعره الوارد في
منازل الاحباب بملاحظة عامة . ان الشهاب محمود لم
يكن اول مؤلف من مؤلفي كتب الحب يدخل شعره
الخاص في تضاعيف كتابه . فان ابن حزم قد سجل
شعره الخاص في طوق الحمامة ، كما فعل ابن السراج
في مصارع العشاق . ونحن نعلم ايضا ان اول كتاب
كامل يبحث في الحب ، اي كتاب الزهرة ، يتضمن ايضا
ابيات شعر لمؤلفه وان كان ابن داود لم يصرح بذلك (٩٤) .
الا ان وجه الطرافة في شعر الشهاب محمود الوارد في منازل
الاحباب يكمن في ان الشاعر لا يحاول ان يعبر عما
يجده ، او ما يزعم انه يجده ، من لواعج الشوق
والغرام ، الا انه يتقمص شخصيات ابطال قصص
الحب التي يوردها ، وكثيرا ما يقول الشعر «على لسان
حال» هؤلاء الابطال (٩٥) ، رجلا كانوا ام نساء . ومن
مقطوعات الشعر هذه يمكننا ان نستخلص تفسير
المؤلف الخاص لمغزى قصص الحب .

نص من كتاب اخبار الاعراب لقدامة بن جعفر
(انظر اعلاه ص ٧١ ، المصدر رقم ٤ من مصادر الشهاب محمود)

وقرأت في كتاب اخبار الاعراب لقدامة باسناد ذكره
الى ابي الهيثم العوفي قال انحدرت عن مكة فلما قاربت
فيد (٩٦) اذا انا بامرأة في برقع وقدامها طفلان فكلمتها
فاذا هي افصح الناس واجملهم فقالت من انت فقلت
من قيس قالت فت اعمامي ولم تفت اخوالي فاي البلاد
بلادك قلت العراق قالت ايه قلت بغداد فقالت ان لي
بها شيخا وهو ابن عمي وابو ولدي هذين في سجن
باب شامكم فهل انت مبلغه عنى رسالة قلت ورسائل
فسميه فسمته فقالت اكتب لي اليه : وهبني الله
فذاك قد احتددت بعدك كل الحد وقد جززت الشعر
ولبست الصوف وانفردت من العشيرة ولم اكسك عارا
ولا البستك شنارا ، وكتبت وابناك سيديا جعفر بن
كلاب ، قال فقدمت بغداد فاتيت سجن باب الشام
فسألت عنه فاخرج الي شاب حسن الوجه تخبر خلقته
انه شجاع الا أن السجن قد اثر في صورته فلما رأيته
دفعت اليه الرقعة فلما قرأ ما فيها تنفس نفسا طويلا
كاد ان يحرق شعر وجهي وقال ارأيت هذا الانسان
قلت اي والله رأيته ولم ار احدا اعف ولا اشد حزنا
منه فيكي طويلا ثم قال :

فوجدني بكم وجد الموافي بغلة
بعشر فلم يثقف على الماء ساقيا
تروى بفضلات الحياض عشيبة
وخلوه في الاعيان يشجع صاديا
اذا ما رجا ان يكسر الله قيده
لاوطانه لم يرج شيئا مدانيا

(٩٦) وردت الكلمة غير منونة في لسان العرب ، مادة فيد .

(٩٢) م ، ا ، ص ٢٣ ، ا . وقد ورد الشعر في روضة المتعجبين ٢٧٠ وفي
تزيين الاسواق ٨ .

(٩٣) م ، ا ، ص ٦٣ ب .

(٩٤) هروج الذهب ٨/٢٥٥ - ٢٥٦ ، وانظر مقدمة نيكال لكتاب الزهرة .

(٩٥) م ، ا ، ص ٤٣ ب ، ٥٠ ب ، ٥١ ب ، ٧٢ ب ، ١٧٦ ، ١٠٣ ب ،
١١٠ ، ١١٠٤ ب .

فاقتضيته الجواب فوعدني به في غد فاتيته فقيل لي
الساعة مات .

مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي اذ روعي تحلل به
وصرت كاليت اذ لا روح في بدني
وكيف تصحب روعي بعده بدنسي
وكان ان غاب تأبى ان تصاحبني

نص من كتاب المفتاح لعبد الرحمن بن الجوزي
(انظر اعلاه ص ٧٢ ، المصدر رقم ١٠ من مصادر الشهاب محمود)

وذكر الشيخ جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي في
كتاب له يسمى المفتاح قال كان الشريف ابو جعفر
مسعود بن الحسن البياضي رحمه الله تعالى (٩٧) محبا
لجارية من جوارى بنت فخر الملك وكان قليلا ما يفارقها
وله فيها اشعار كثيرة منها قوله :

وتوفي رحمه الله تعالى في الشهر الذي ماتت فيه .
قال الشيخ ابو الفرج وحديثي الاستاذ ابو القاسم
ابن توبة قال كنت فيمن عاده في مرضه فاخذت اسأله
انا والجماعة عن مرضه وابتدائه وما اصابه فقال :

متى انا بالشكوى الى الناس بائع
فقد طال كتماني الهوى وهو لائح
وقد سئم العواد (٩٨) مما احبهم
اذا سألوا عن علتني انا صالح
فلما دنا مني الطيب نظايرت
اليه بانفاسي شرار لوافسج
فباعد عني شخصه ثم قال لي
بجسمك نار قد حوتها الجوانح
فقلت بعيد من لهيبي خموده
اذا كان في قلبي زناد وقادح
ولم اصل نيران الهوى بجناية
سوى ان ميزاني من الفضل راجح
كما ان عود الند (٩٩) لم تصل ناره
بشيء سوى ان طاب منه الروائح
الفت الضنى لما تطاول مكته
فلو بان عن جسمي بكته الجوارح
ولد سهاد الليل عندي وانه
لمر وطاب الدمع لي وهو مالح
وطال علي الليل حتى لقد بكت
على الفجر اطياف الصباح الصوادح

خليبي مرا بالعراق فناديا
الا من رأى قلبا من الوجد باليا
فان انتما اعبيتما في ابتغائه
ولم تجداه فانعيا لي ناعيا

فمرضت وتوفيت فوجد عليها وجدا شديدا وحزن
حزنا عظيما حتى مرض بسبب ذلك فقال يرثيها :

دع ائووقوف على الاطلاع والدمن
فليس ينفع مسكون بلا سكن
الا تراني لا الهوى على طلل
بعد الفراق ولا آوي الى وطن
وكيف يانس قلبي بالديار وقد
اصاب فيها الردى من كان يؤنسني
ان الذين اذاقوني فراقهم
افنيت بعدهم دمعي من الحزن
لله من لعبت ايدي المنون به
ضنا بما فيه ان يبقى على الزمن
جعلت روعي له من روجه عوضا

(٩٨) في م ا «الذال» واحسن منها «العواد» كما في م ب ، ص ١٥٨ .
(٩٩) في م ا «عود الهند» وهو خطأ ، وتصحيحه من م ب ، ص ١٥٨ .

(٩٧) البياضي هذا شاعر معروف وردت ترجمته في وفيات الاعيان
٢٨٥/٤ ، وشذرات الذهب ٣/٣٣١ وتوفي ببغداد سنة ٤٦٨ هـ .

اختصارات المراجع

- ارشاد الارباب = ياقوت الحموي : ارشاد الارباب الى معرفة الادياب .
٧ اجزاء . مطبعة هندية بمصر . ١٩٠٧ - ١٩٢٦ .
- الاغانى = ابر الفرج الاصبهاني : ١٦ جزءا . دار الكتب المصرية .
القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٦١ .
- ايضاح المكنون = اسماعيل باشا : ايضاح المكنون في الذيل على كشف
الظنون . جزءان . استنبول ١٩٤٥ - ١٩٤٧ .
بروكلمان
Brockelmann, C.: Geschichte der Arabishchen = GAL
Litteratur, 2 vols., Weimar 1898, 1902.
" 3 supplementary vols., Leiden 1942-1949. = S
- تاريخ بغداد = الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤ جزءا
القاهرة ١٩٣١ .
- تاريخ الحكماء = علي بن يوسف القفطي : مختصر التوزني المسمى
بالتلخيصات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء باخبار
الحكماء . ليبسيك ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م .
- تذكرة الحفاظ = شمس الدين الذهبي : تذكرة الحفاظ . ٤ اجزاء
ط ٣ . حيدر اباد ١٩٥٥ - ١٩٥٨ .
- تزيين الاسواق = داود الانطاكي : تزيين الاسواق بتفصيل اسواق
العشاق . ط ٢ . المطبعة الازهرية ١٣١٩ هـ .
- الدرر الكامنة = ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في اعيان
المائة الثامنة . ٤ اجزاء . حيدر اباد - مصر .
١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ .
- ديوان الصباية = ابن ابي حجلة : ديوان الصباية . في هامش
تزيين الاسواق . ط ٢ . المطبعة الازهرية
١٣١٩ هـ .
- رسالة القيان = الجاحظ : ثلاث رسائل (فنكل) . القاهرة ١٣٤٤ هـ .
- رسالة النساء = الجاحظ : رسائل الجاحظ (السندوبي) . ط ١ .
القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- روضة المحبين = ابن قيم الجوزية : روضة المحبين وروضة
المشتاقين . مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٨٥ هـ .
١٩٥٦ م .
- الزهرة = محمد بن داود الاصفهاني : النصف الاول من كتاب
الزهرة . تحقيق نيكل . بيروت ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- شذرات الذهب = ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في اشجار
من ذهب . ٨ اجزاء . القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .
- طوق الحمامة = ابن حزم الاندلسي : طوق الحمامة في الالفة
والالاف . تحقيق بتروف . ليدن ١٩١٤ .
- عيون الانباء = ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات اطباء
جزءان . ط ١ . المطبعة السوهبية ١٢٩٩ هـ /
١٨٨٢ م .
- الفهرست = ابن النديم : الفهرست . تحقيق فلوكل . ليبسيك
١٨٧١ .
- فوات الوفيات = محمد الكتبي : فوات الوفيات . جزءان . القاهرة
١٩٥١ .
- كشف الظنون = حاجي خليفة : كشف الظنون . جزءان .
استنبول ١٩٤١ - ١٩٤٣ .
- دروج الذهب = المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق
دي مينار . ٩ اجزاء . باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .
- مصارع العشاق = ابن السراج : مصارع العشاق . الجوانب .
قسطنطينية ١٣٠١ هـ .
- معجم المؤلفين = عمر كحالة : معجم المؤلفين . ١٥ جزءا . دمشق
١٩٥٧ - ١٩٦١ .
- منازل الاحباب = الشهاب محمود : منازل الاحباب ومنازه الالاب .
مخطوطتان مأ (البودلي MS. Arab. f. 71)
مب (البودلي MS. Sale 45) .
- هدية العارفين = اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين .
جزءان . استنبول ١٩٥١ - ١٩٥٥ .
- الوافي بالوفيات = صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات . ٨
اجزاء . باعثناء ريتش وديديرنج وغيرهما
استنبول ١٩٣١ فما بعد .
- وفيات الاعيان = شمس الدين بن خلكان : وفيات الاعيان . ٦
اجزاء . القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .
- The Encyclopaedia of Islam, 1st edition = E.I.
Leiden 1913-1938.
- Giffen, I.A.: Theory of Profane Love among = Giffen
the Arabs: the Development of the Genre,
University of London Press, 1972.
- Massignon, L.: La passion d'al-Hosayn-Ibn = Massignon
Mansour al-Hallaj, Tome 1, Paris 1922.
- Vadet, J.C.: L'esprit courtois en Orient dans : Vadet
les cinq premiers siècles de Phégypte. Paris, 1968.